

نام أوديسيوس منهوك القوى
 وذهبت مينرفا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد
 السلالة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر
 الذين فروا من وجوه جيرانهم الجبابرة
 السيكاويس — في العصر الخالي ، وزلوا بهذا
 البلد ، فسادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا
 أرضه المخصبة ، وأسكنوا الدور والقصور ،
 وأنشأوا المعابد للآلهة عرفاناً وشكراناً
 وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم
 استوى على العرش من بعده ألكينوس ، حبيب
 الآلهة ، وصفى السماء

كانت الأميرة الحسناء ، نوزيكا ، ابنة
 ألكينوس الملك ؛ تفت كالملك في نوم عميق بين
 وصيفتين رائعتين من وصيفاتها . فوق سرير وثير
 في مخدعها الملكي الفاخر

وكان رتاج الباب محكما كأنه رتاج باب الجنة ،
 ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة مينرفا ،
 التي خطرت الى الداخل كنسمة نادية من نعمات
 الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها
 هذا الحلم الفضي الجميل ، وكأنما تبدو لها في المنام في
 صورة صديقتها وأعز أترابها ابنة ديماس الكريم :
 « نوزيكا ! يا ويح لك أيها النؤوم المكسال !
 أهكذا تهملين ملابسك وأنت موشكة أن تُرْفَى إلى
 عروسك ، ورواء حاشيتك وسائر وصيفانك ؛ كما
 يتوقف عليها زهو أبويك بين الناس . انهضى مع
 الفلق^(١) فاذهبي بمطارفك إلى المغتسل عند ضفة
 النهر فاغسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين
 صرح هذا الشباب الخالي ... هلمى ! إني سأعاونك ،

(١) الفلق أول ضياء الصبح



الأولاد نيسبر

لهوسيروس

بقتلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة ما تقدم

لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني فيمن عاد إلى
 بلاده بعد حرب طروادة ، لأن نبتيون إله البحار
 كان عدواً للوداء له فشرده في البحر — وكانت
 زوجة البطل من أجل نساء البلاد فطمع فيها الطامعون
 كل يريد لها زوجة له . غاصروا منزل أوديسيوس
 ليرغموها على التزوج من أحدهم . وقد ثارت مينرفا
 ربة الحكمة لهذا فبدت للفتى تليماك بن أوديسيوس في
 صورة آدمية وجمعت تحرضه على البحث عن أبيه ،
 فزار لهذا الغرض ملكي بيلوس وأسبارطه ، صديق
 أبيه ، فأكرما وفادته ، وأخبره الأخير عما علم من
 أخبار أوديسيوس . وروع العشاق لما علموا ما كان
 من سفر تليماك فتربصوا له عند إحدى الجزر ليقنطروه
 في العودة . أما أوديسيوس فقد انتهى به المطاف في
 البحر إلى جزيرة سحيفة تسكنها إحدى عرائس الماء
 (كاليبسو) التي هويته وشغفها حبه فاحتجزته
 عندها حتى أرسل كبير الآلهة ولده (هرمنز) بالحاح
 من مينرفا بأمر عروس الماء أن تعد مركباً
 لأوديسيوس يعود عليه إلى بلاده . وأبحر المسكين
 وما زال الموج يلعب به حتى كاد يفرقه نبتيون عند
 شاطئ جزيرة ملوك البحار — ولكنه نجا ونام
 منهوكاً في غابة فون السفح »

المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ، الذى طمه
الدونضحه الجزر، واغتسلن بعد ذلك وتضمعن،
وجلسن على شفا النهر يتبلسغن بلبقات، ثم نهضن
فتلاعبن بالأكر، وتغننت ابنة الملك أعذب الأغاني،
وتثنت كما تثنى ديانا فى شفاف الجبال وفى يدها
القوس والترس، وتصيد الخنازير فى أربعات
— ومن حولها ربرب من عذارى الآلهة، وابنة
لانونا تقيه^(١) عليهن وتدل... كذا كانت تميمس
ابنة الملك، فيكسف لآلاؤها جمال الأخريات

وهنا... شامت مينرفا أن يهب أوديسيوس
من نومه، لينشهد الغيداء الهيفاء التى كُتب فى
الأزل أن تقوده إلى المدينة؛ ففما كانت توزيكا
تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها، إذا هى
تملو وتملو، ثم تدوم كما يدوم الطائر، وتهوى
فى العباب المصطخب وسط النهر...

وصرخ العذارى صرخة داوية، فانتفض
أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا
المنظر العجيب!

« ويحيى! أئى بنى الموقى قُطبانُ هنا؟ ليت
شمري أشوس^(٢) عراييد أم أكرام أجويد! أوه!
إنهن عرائس ماء تفرعن فرجتم الغيران أصداء
صراخهن، وتراقص الحباب فى العباب من
جَرمهن، وتثنى السكلا نشوة فى الوادى! لأداف
نحوهن فأرى إليهن... »

وخطر من دَغِيَابَتِهِ^(٣) خطر ان الأسد
هاجبه الماصفة، فانقدت فى عينيه جرتان من
غضب، أو ظمى فاشتدت غلته إلى الدماء...
وذال^(٣) نحو العذارى، فما إن رأته حتى تفرعن

أنت ياساحرة ألباب شباب الفيأشيين! سلى
أباك يرسل إليك عربية وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك
إلى عُدوةِ النهر حيث لا شاهد ولا رقيب... »

وانفتحت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين،
ورقت أسباب السماء حتى كانت فوق ذروة
أولب... حيث السكون والهدوء والصمت،
وحيث مستقر الآلهة، وحيث لا تعصف ريح
ولا تتابد سحاب ولا تدمع عين مطر... وحيث
السماء لازوردية صافية إلى الأبد

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق، وأرسلت
من لدنها أميناً من رسل النور يداعب جَفَنِي
نوزيكا، فهبت وحملها الجميل لما يفتأ يساور رأسها
الصغير، وهزعت من فورها تبحث عن أبويها
تقص عليهما أنباء ما رأت. وقد أُلْقَت أمها لدى
المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجوانى موثى
بصبغ بحرى، ومن حولها وصيفات يساعدها...
ثم لقيت أباهما يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ
الملكة، فاستوقفته، وكلمته فى العربية، واحتجت
بملايس إخوتها الخمسة الذين يستحيون أن يراقصوا
العذارى فى الحفلات بملايس لاتبلىق بأبناء الملوك...
وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها
وشغوف زفافها... ولم يبخل أبوها بما طلبت، بل
أمر لها بعربة كبيرة عتيقة ودواب، وزودتها أمها
بأثريات وآكال وطيوب ومراوخ^(١)

واستوت مع وصيفاتها فى العربية، وساطت
البغال فانطلقت تطوى الرحب إلى النهر حيث
وقفت عند منمرج يتفرق فيه بلور الماء، متدفقا
من نبع قريب. ومرحت الدواب لترعى العشب
الحلو النامى على حفافى الماء، ثم أخذن فى غسل

(١) ما يمسح به الجسم من دهن أو طيب أو غيرها

(١) هى ديانا

(٢) الدغيلة والدغل الشجر المتن

(٣) ذال ودأل مثنى فى خفة ونشاط

إلى مدينتها ، وتسبغ على — أسبغت عليها الآلهة كل ما تتمنى من هناة وباهنية وقران قوى العرى لا تتناول إليه أعين الأعداء — دثاراً يسترسو — ؟ » وأجابته نوزيكا : « حباً أيها الغريب النازح وكرامة ! إن سيماك تدل على نبيل ، وسمتلك بنى » عن رفعة ! اصطبِر على ما ابتلاك به سيد الآلهة الذى بيده العزة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . سأدلك إلى المدينة ، مدينة الفياشين ملوك البحر ، التى أنا ابنة ملكها العظيم ألكينوس ، رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومات الى وصيفاتها وهى تقول : « مكانكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنسى كريم ؟ لقد أبت الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحبائها ، بلادنا المقدسة ، التى انعزات فى لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جواب آفاق ، قذفه البحر الى شاطئنا ، فرحباً به ضيفاً من لدن زيوس ، وأهلاً بوفادته وسهلاً ... هلم إذن يا صويحبات فقدمن له طعاماً وشراباً ، ثم هيئن له حماماً فى منمرج ظليل عند حفافى النهر »

وأهرع البنات فقَدن أوديسيوس الى منمرج ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له ثوباً وكساء ، وهيان طيوباً يتضمخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألن أن يذهبن بعبداً حتى لا يبتري أمامهن ، إذ « ... لشد ما ينجحنى أن أبداً عارياً أمام الحرِّ الحفرات ! » ... وسهدين إلى مولائهن يحدثنها بما قال : بينا هو قد انقذف فى الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليهما من ملح اللجة ، وسعد فتضمخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه المتيد ذلك الكساء الذى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميثراً نفسها كانت تعاونه فى تجميل خلقه ، وتزبل من شعره الكث

وَوَلَّين مذعورات فى الشاطئ ذى النوى ... إلا نوزيكا ! فقد نفخت فيها ميثراً من روحها ، وزعت من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجئو تحت قدميها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كسب يستمط ، ويسأل الفتاة دثاراً ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلاطف ، ثم قال :

« عَمَّرك الله أيتها الملكة ! أربّة من الخالدات ، أم حسناء من بنى البشر ؟ أضرع إليك أن تجيبي ! فانك إن كنت ربة ، فما إخلالك لإديانا ، ابنة سيد الأولب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها المشوق ، وحسنها السوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنت من بنات حواء ، فما أسعد آلك بك ، واشد ما يزهون بجمالك ! كلما خطرت فى ملمب ، أو بدحت^(١) فى مرتع ... ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال ! ! ألا ما أروع ما تبقيين كالخلة اليانعة فى ديلوس ، عند مذيح أبولو ، أيتها الأميرة ! ! ألا كم أتمنى أن أتم قدميك ، لولا ما ينتابنى من روع ، وبؤودنى من فزع — أنا — ذلك المعضنى المحزون المشجون ! — أنا — ذلك العبي الموهون الذى أفلت من يد المذنون أمس ، كشر له عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بمد سفره عشرين يوماً من جزيرة أوجيجيا ، وسط أنواء ولأواء ، وموج كالجبال حتى شادت العناية أن تطرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدري ما خبأت لى المقادير بعد ! ولكن ، هل ترى مليكى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه الأرض بمد طول عنائى ، فترشدنى

كالأعلام - والذي أخشاه أن يرانا الناس ثمة
فيسهزئوا بنا ، وقد يسلفوني بالسنة حداد ، قائلين في
سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب
المهرقلى الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى
صدفة جمعت شملهما يا ترى ؟ سرعان ما نراها
تزف اليه عرساً كاعبا ... قد يكون ضيفاً غير محمود
من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلواتها وتسبيحها
واحداً من الآلهة أبقي من السماء ليقر في حضنها
الى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها بزواج سعيد
من بلاد غريبة يشبع أمانيتها الجائعة بمد أن
رفضت الأبدى الكثيرة التى تقدمت اليها من
أبناء الفياشين ... هكذا سيقول الناس إن رأونا
أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعنى من اللائمة
فتاة عذراء تسبىح أن تمنى مكشوفة مع رجل
غريب قبيل عرسها ... ولكن اصنع إلى : إنك
واصل حتماً الى أبى إذا اتبعت نصيحتى .. بعد قليل
سيصل ركبتنا الى حرج أشجار الحور المقدس
النائم فى تخوم الطريق باسم ربة العدالة والحكمة
مينرفا ... وإن عنده لنبعاً يترقرق وسط كلاً
وأعشاب ... وإن عنده لحديقة أبى ، الجنة
الضحوك المثنائى ! قف ثمة حتى إذا دخلنا نحن
المدينة وحصاننا فى بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل
المدينة واسأل أيا من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن
قصر الكينوس الملك ، أبى الحبيب ، فإنه معروف
مشهور لا يضارعه منزل آخر فى سمته وأهنته ؛
فاذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى
تلقى أمى جالسة لدى الوقد المتأجج بجانب عمود
مرمرى مكبة على غزلها الصوفى الوشى بأصباغ
البحر ، ومن حولها وصيفاتها يماونها فى أنجازها -
وقريباً منها ترى أبى مستوياً على عرشه بطم
ويشرب كأحد آلهة الأولب ... لا تكلمه ...

الأشعث تلبداته التى كانت تبدو كأنها أزهار
الخزامى ... ثم هى بعد كل ذلك تضى عليه أمواها
من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هى قناع
الصناع يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على
الشاطيء فى رونق وروعة ، حتى إذا لمحته الأميرة
المندراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها : « نال الله
يا صويحيات لقد شككت فى حال هذا الرجل
أول الأمر ، ولقد حزنته ألقاً من راع الناس ،
لولا أننى أتت أن الآلهة لا تسوق الى بلادها الحبيبة
هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فاشد
ما يشبه أرباب السماء : أواه : لوددت أن يكون لى
زوج فى بهائه وحسن سمته ، على أن نبقي آخر
الدهر معنا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وخرأ »
ومد دن أمامه ساطلاً كبيراً ، وزودنه بأحسن
الأشربات والآكال ؛ وأخذ أوديسيوس فى أكلته
حيياً متأدياً ، يرد عنه تلك المسغبة الطويلة التى
أسهكنه وأوهت قوته

ووضعت أحمال المطارف والثلثاب فوق العربة ،
وشدت البغال ، واستوت الأميرة فى مكانها ، ثم
هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح
الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى
قصر أبى ، حيث تلقاه فى جمع من أشراف الفياشين
وسنطلق وسط هذه الحقول ، وإن لى معك من
أجل هذا السكامة ... لقد بنيت مدينتنا فوق
صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل
بينها وبين قُروضها جسر ضيق تفر على جانبيه
سفائنا ، رابضة متراسة ؛ ثم ينهض عندها مبد
نيبيون العظم ، وبجوار مسوق المدينة المبني من الحجر
الصلد ، حيث تباع حبال السفن وشراؤها ، وحيث
تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها - لأن الفياشين
لا يمنون بشئ عناية بهم هذه المنشآت فى البحر